

وجوه الترجيح عند الشيخ أمير علي في تفسيره "مواهب الرحمن المسمى بجامع البيان" دراسة تحليلية

A Research Analysis of The Grounds of Preference According to Shaikh Amīr ‘Ali in his Tafsīr “Mawāhib ur Raḥmān” known as "Jāmi’ al-Bayān”

د. حفاظت الله^{II}

سيد ميسور حسين^I

Abstract

Mūlvi Syed ‘Amīr ‘Ali’s interpretation (Tafsīr) of the Holy Qurān named “Mawāhib-al-Raḥmān” is a well known work, published in Urdu language. The author of this interpretation is one of the reputed scholars and had high status in the Indian Subcontinent. His interpretation is authentic and has won broad acceptance by his contemporaries. It consists of both categories of tafsīr, Tafsīr bi-al-māthūr (Narrated tafsīr) i.e. saying of the Holy prophet (SAW), saying of his companions and saying of the followers of the companions, and tafsīr bi-al-rāy (tafsīr by opinion), i.e. issues of linguistics, grammer, theology, statmensts of the jurists, doctrines of jurisprudence, opinions of the scholars and interpretators. The basic distinct feathers of this tafsīr is that the author of the tafsīr discusses different personal opinions of the scholars and interpretators in the interpretation of verses, writes their evidences and he then unequivocally prefers one opinion among various opinions on the basis of solid reasons and principles. Mūlvi Syed Amīr ‘Ali prefers to analytical method in his tafsīr and his method for preferences is that after discussing different opinions and choosing one he says: “this is the most correct” or “this is true” or “this statement seems true”. Mūlvi Syed Amīr ‘Alī’s preferences are based on eight solid principles and grounds, i.e. The Qurān, authentic Hadīth, apparent evidence of Qurān, the reason for the revelation, the context concerned, general acceptance, the actual meaning of the word, and classical ‘Arabic. In this study, such

I الباحث بمرحلة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية العالمية، اسلام آباد
II الاستاذ المشارك و رئيس قسم اللغة العربية بجامعة اسلامية بشاور

principles and grounds would be examined and explained. It would be examined what are the grounds of his preferences and to what extent these preferences are applicable to the methods and principles devised in the science of tafsīr.

Key Words: Tafsīr , Hadith, Shaikh Amūr ‘Ali, Tafsīr “Mawōhib ur Raḥmān”

التمهيد

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم شفاء لما في الصدور ، وبيانا لما اختلف فيه الناس ، وهداية لهم بعد أن استوتهم الشياطين ، وتعهدوا بالحفظ والرعاية فقال:

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون¹

فإن لكل مفسر يكون فكرة خاصة، وعند ما يكتب تفسيره تظهر فكرته من خلال تناوله لآيات القرآن الكريم ، وتفسيره وتوضيحه ، خصوصا عند ما يأتي أكثر من رأي في مسألة عند تفسير آية فحينئذ تظهر فكرة خاصة للمفسر فيها ، ويكون عنده أصول خاصة وقواعد خاصة يكتب تحت ضوءه تفسيره ، ومن خلال تفسيره هو يرجح رأيا على آخر أو يرجح رأيا من عنده ، وحينئذ أحيانا هو يؤيد رأي أحد أو يخالف رأيه ، ومتى يكون ترجيحه على أساس تلك الأصول والقواعد والدلائل التي يقوم عليها المفسر وأحيانا لا يرجح على أساس الأصول والقواعد. وترجيحه متى يكون صوابا ، ومتى يكون خطأ.

ومن تلك التفاسير تفسير مواهب الرحمن المسمى بجامع البيان لمولانا مولوي السيد أمير علي رحمه الله من ملبخ آباد ، هند المتوفي سنة 1337 هـ / 1919م. وهو تفسير ضخم في اللغة الأردنية يقع في ثلاثين مجلدا طبعه ديني كتب خانة، اردوا بازار لاهور.

فإن مؤلف هذا التفسير من العلماء الكبار وصاحب المنزلة الرفيعة في شبه القارة الهندية وإن هذا التفسير قد ظفر بالقبول الواسع من قبل المعاصرين وهو أول تفسير ضخم جمع فيه الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم وأقوال المفسرين واختلافهم وأقوال الفقهاء والمذاهب الفقهية مع ذكر الأدلة في أكثر المواضع وجمع المفسر فيه التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي وجمع فيه مسائل كل علم تقريبا.

والميزة الخاصة لهذا التفسير أن مؤلفه يذكر أقوال المفسرين في تفسير آية أو كلمة التي وقع الخلاف بين المفسرين في تفسيرها، ثم يرجح ويختار رأيا منها. فأحيانا يقول بعد ذكر الأقوال أو الاختلاف: "قال المترجم" ويذكر بعده ترجيح أو يذكر القول الراجح ويقول بعده "وهذا القول أصح" أو "هذا القول صحيح"

أو "يرى هذا القول صحيحاً". ويعتمد في ترجيحه على دليل من الأدلة الثمانية، وهي: دليل النظر القرآني، ودليل السنة النبوية، ودليل ظاهر القرآن، ودليل سبب النزول، ودليل السياق، ودليل العموم، ودليل حمل الكلام على الحقيقة، ودليل اللغة. ففي هذا البحث حاولت إبراز وجوه الترجيح للتفسير عند الشيخ أمير علي ودراستها التحليلية.

ترجمة الشيخ أمير علي

هو مولانا الشيخ أمير علي بن معظم علي حسيني مليح آبادي ثم اللكهنوي من أشهر علماء شبه القارة الهندية. ولد سنة أربع وسبعين ومائتين وألف في مليح آباد قرية من إقليم اترپرديش في شبه القارة الهندية (هند الآن). أولاً قرأ رسائل الفارسية، كما كان دستور ذلك العصر، ثم قرأ الفنون الرياضية من الأعداد، وتشكيل الخطوط أي المساحة والجبر والمثلثات وغيرها من الفنون العصرية، وارتفع فيها إلى قمة عالية، ولعب دوره فيها إلى أن ثبت نفسه مطمئناً، لكن عندما هو ابن خامس عشر ترك الفنون العصرية من الرياضيات وأقبل إلى اللغة العربية وأدبها وفونها، فدرس المختصرات درساً نافعاً على يد الآروي عبد الله وأستاذه المهاجر حيدر علي، وهكذا حصل العلوم العقلية من المنطق والفلسفة والحكمة وعلم الكلام والفقه وأصوله من شيخه القنوجي، بشير الدين العثماني.

بعد فراغ الشيخ من دراسة كتب ابتدائية عين موظفاً في مكتب البريد. وكان تقياً مواظباً على الصلاة فذات يوم كان يصلي صلاة الظهر في المسجد إذ جاء ضابطاً عالياً لزيارة مكتب البريد، وكان الشيخ غائبا لوقت قصير لأنه كان يصلي في المسجد، فأرسل ضابطاً عالياً إليه ليأتي فوراً، ولكن الشيخ لم يخف، بل صلى بإطمئنان، ثم ذهب إليه، فتأخر قليلاً، فغضب عليه الضابط وزجره، ومنعه من الصلاة في وقت العمل، فتأثر قلبه وحزن حزناً شديداً من هذه الواقعة وترك العمل في مكتب البريد وتوجه إلى تحصيل العلوم الدينية، فذهب إلى مولانا فاروق جريا كوتي الذي كان أستاذاً لمولانا شبلي نعماني ومضى عدة أيام عنده ثم سافر إلى دهلي وتلمذ عن عالم شهير ومحدث كبير مولانا سيد نذير حسين ودرس منه كتب الحديث دراسة بالغة.

ثم تلمذ عن طبيب شهير في ذلك العصر حكيم عبد المجيد بن محمود دهلوي لحصول علم الطب، ثم رجع إلى قريته مليح آباد، وتزوج في لكهنو، وهي مدينة اترپرديش بعيداً عن مليح آباد سبع وعشرين كيلومتراً، وسكن بها.

ثم أراد أن يبدأ العلم في مطبع منشي نولكشور الذي هو مطبع قدم أسسه منشي نولكشور سنة 1858م في لكهنو ، وهو اليوم أقدم مطبع في شبه القارة الهندية، فأجره منشي نولكشور لكتابة الحواشي حول الكتب الدينية ، وتصحيح الكتب ، وترجمة كتب دينية إلى اللغة الأردية بخمسين روبية شهرية. فصرف شطراً من عمره في تصحيح الكتب وكتابة الحواشي حولها، وترجمتها من اللغة العربية إلى اللغة الأردية في مطبعته.

ثم سافر إلى الحجاز ، وحج البيت ، وأراد أن يسكن في الحجاز ويجعله موطناً ، فبدأ التدريس في جدة وتعلم منه كثير من الطلاب ، ولكن جو الحجاز المقدس لم يوافقه فمرض هناك ، وتوفي ولده الأكبر هناك لعدم موافقة الجو ، فحزن حزناً شديداً لأجله ولم يطمئن قلبه هناك ، ورجع إلى الهند.

فلما رجع الشيخ من الحجاز المقدس أعطاه الله العزة والشرف وولّي التدريس بالمدرسة العالية بكلكتة وعيّن مدرسا عالياً بأجرة خمس مائة روبية شهريا. ودرّس هناك لعدة سنوات.

ولما اشتهر علمه واستعداده في تلك الفترة ووصل شهرته إلى دارالعلوم ندوة العلماء ، فطلب منه مولانا سيد عبد الحي لكهنوي مدير دارالعلوم ندوة العلماء، الذي كان من تلاميذه، ولجنة من علماء دارالعلوم ندوة العلماء ، أن ينضم إليهم ويخدم الإسلام ، فاستجاب الشيخ لدعوة تلك العلماء المخلصين ، واستقل من مدرسة عالية كلكتة وانضم إلى دارالعلوم ندوة العلماء، ودرّس فيها إلى آخر عمره. مات الشيخ في شهر رجب سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف بلكهنؤ.²

التعريف بتفسير مواهب الرحمن

تفسير مواهب الرحمن هو تفسير ضخم في اللغة الأردية في ثلاثين مجلداً كتبه مولانا أمير علي المليح آبادي رحمه الله تعالى ، طبع سنة 1926 ميلادية ، طبعه أولاً مطبع منشي نولكشور بلكهنو، هند. وهو تفسير مقبول ومتداول في شبه القارة الهندية ، وهذا التفسير كتبه مؤلفه على منهج التفاسير العربية القديمة التفسير الطبري والقرطبي وابن كثير وغير ذلك.

جاء الشيخ بمقدمة طويلة تفصيلية، ذكر فيها مباحث علوم القرآن مثل أسباب النزول والمكي والمدني وغير ذلك بالتفصيل ، وذكر فيها أصول التفسير وشروط التفسير وما يجب على المفسر.

تفسير مواهب الرحمن هذا هو مجموعة تفاسير قديمة مثل تفسير ابن كثير وجامع البيان في تأويل القرآن للطبري وتفسير لقرطبي وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ومعالم التنزيل للبغوي والخرر الوجيز

لابن عطية ومفاتيح الغيب للرازي. فالمفسر عندما يتعرض لتفسير آية يترجمها إلى اللغة الأردنية ، ثم ينقل ما جاء في تفسيرها في تلك التفاسير ، وأكثر ما ينقل عن تفسير ابن كثير ، وسلك منهج ابن كثير في تفسيره في أكثر الأوقات.

والمفسر سلك المسلك التالي في تفسيره:

- المفسر يهتم بتفسير الآيات بالآيات مثل تفاسير السلف.
- المفسر ينقل الأحاديث في تفسير الآيات ، وهو ينقل أكثر الأحاديث من تفسير ابن كثير وتفسير ابن أبي حاتم وكتب الصحاح الستة. وهو يهتم بالأحاديث الصحيحة ، ولكن يهدف السند ويشير إلى كتاب ينقل منه. ولو ينقل الحديث الضعيف فينبه على تضعيفه.
- ينقل الآثار وأقوال التابعين ومن تبعهم من المفسرين في تفسيره بالتفسير وينقل هذه الأقوال من تفاسير قديمة خصوصا ابن كثير والطبري والقرطبي وغيرها.
- فإن اشتهر في تفسير آية اختلاف المفسرين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم وأقوالهم فالمفسر يذكر تلك الأقوال والاختلاف ، وينقل هذه الأقوال من التفاسير القديمة التي ذكرت.
- وعندما يذكر أقوال المفسرين في تفسير آية يرجح فيها بتنصيب صيغ الترجيح ويذكر أدلة القول الراجح. وأكثر ما هو يرجح القول الذي يعم جميع الأقوال.
- المفسر يذكر المسائل الفقهية المستنبطة من الآية بعنوان "مسألة" بالتفصيل مع ذكر الاختلاف ، فأحيانا يذكر المسألة الفقهية موافقا لمذهب الإمام أبي حنيفة ويكتفي بها. وأحيانا يذكر اختلاف الأئمة فيها من غير ذكر الأدلة. وأحيانا يذكر الاختلاف مع ذكر الأدلة وترجيح قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى. ولكن المفسر ليس متعصبا ، فعندما يرى مذهب الإمام أبي حنيفة ضعيفا يذكره.
- المفسر يذكر وجوه القراءات في الآية واختلاف أئمة القراء في الآية بالتفصيل.
- المفسر يرد على الفرق الكلامية الباطلة مثل المعتزلة ، والجبرية ، والقدرية ، والهشوية والسوفسطائية ردا علميا مدللا.
- المفسر يهتم بالتفسير الإشاري اهتماما كبيرا ، فعندما ينتهي من تفسير آية يضع عنوانا باسم (تنبيه) ثم يذكر الأسرار والحكم في الآية ، ويفسر الآية تفسيراً صوفياً ويطول الكلام فيه.

يقول الشيخ في مقدمة تفسيره:

"إني التزمت في تفسيري هذا أموراً خاصة أبينها هنا وهي:

أولاً التفسير المنقول: فأحاديث الإسناد الصحيح نقلتها من تفسير ابن كثير ومعالم التنزيل وكتب الأحاديث الصحاح الستة ، والأقوال التفسيرية التي بلا سند التي نقلها كتب التفاسير بلا علم فيه تفصيل ، لو نقلها الشيخ ابن كثير فأعتمد عليه ، كما اعتمد الشيخ على مرويات ابن أبي حاتم ، لأنه التزم الإسناد ، فالمرويات التي ذكرت بنسبتها (رواه ابن أبي حاتم) فأعتمد عليها. والأحاديث والآثار التي ذكرها الشيخ مع الإسناد ، وقال بنسبته صحيح ، أو نقل صحتها من محدث فحذفت في تفسيري اسناده واكتفيت على نقل صحته. ونقلت إسناد بعض الأحاديث ، وهي خاصة الأحاديث التي قال فيه الشيخ ابن كثير أنه انفرد بها الإمام أحمد وليست في كتب الصحاح الستة ، أو نقلها الشيخ من كتب الأحاديث الأخرى بهذا التفرد. ونقلت بعض الأقوال من كتب التفسير الأخرى مثل مدارك التنزيل والسراج المنير وغيرها ، ولم أجد تخريجها فأشرت هناك.

والثاني: القصص التي نقلت من أهل الكتاب وقال فيها الشيخ ابن كثير أو مفسر آخر أنها واهية أو مهملة فتركها إن لم تشتهر في العامة ، ولو اشتهرت في العامة أو الوعاظ فنقلتها بلاختصار وأشرت إلى وضعها وإهمالها.

والثالث: التزمت في تفسير آيات الكتاب أربعة عشر شيئاً وهي: التوحيد لأنه أصل الطاعة ، وهو التصديق بالقلب. ودلائل التوحيد في الموجودات ، كما قال الله تعالى: (قل هو الله أحد) توحيد خالص و كما بين الله تعالى دلائل التوحيد في قوله: (أولم ينظروا إلى السماء). فبينت دلائل التوحيد في الموجودات. والآيات التي فيها بيان بعثة الرسل فبينت هناك حكمة بعثة الرسول. وبينت دلائل الرسالة القطعية ، وهي دلائل قاهرة لا يمكن انكارها من أحد سوى غيبي أو أحق أزلي. وبينت أحكام العبادات من الصوم والصلاة ، وغير ذلك من الأحكام. وذكرت الأحكام والآثار المتعلقة بالمعاشرة والمجتمع والدنيا حسب المقام. وبيّنت الأمور المنهي عنه ، ومعها مكائد النفس ووساوس الشيطان. لأن الإيمان هو أعظم نعمة ، والشيطان يحاول زوال هذه النعمة من الإنسان. وبينت في تفسيري هذا النصائح والمواعظ ، واخترت أحسن طرق المواعظ والنصائح. وبينت فيه مكارم الأخلاق من العدل والعلم والحلم والشجاعة والسخاء وضدها الظلم والجهل والانتقام في العجلة والجبن والبخل. وبينت العبرة بالأحوال والحوادث من الأمم الماضية ومن الحال ، ولقد صور الله تعالى

العبرة في اختلاف الليل والنهار ومرور الشهور والسنين فاعتبروا بأولى الأبصار. وبينت القصص التاريخية. وبينت الأمثال. وبينت أحوال الآخرة في مقامها، وحسن لطافتها يفهمها المؤمنون لأن الآخرة وطنهم المؤلف، وإلى الله المصير. وبينت الأسرار والحقائق المخفية في آيات القرآن.³

تعريف التعارض والترجيح، منهج الشيخ أمير علي في التعبير ترجيحاته، ووجوه الترجيح عند الشيخ أمير علي في تفسيره "مواهب الرحمن".

تعريف التعارض

قال ابن فارس: إنَّ كلمة "عرض" تبنى من الحروف "العين و الراء و الضاد" فروعها كثير لكن مع كثرت فروعها ترجع إلى أصل واحد، و هو ضد الطول. و أما بكسر العين في المضارع أي عرض يعرض بمعنى "الطلب" و العارض هو الشخص الذي يطلب الشيء من أحد أي يطلب منه شيئاً و هو يعطيه⁴ والتعارض، مصدر تعارض الشيطان: إذا تقابلاً، وتعارض البيتان: أحدهما تشهد بإيجاب وإثبات أمر والأخرى بانتفاءه، أو بإثبات ما نفته⁵ وأما تعارض الخبران فهو الاختلاف في ما بينهما في اقتضاء الأمر.⁶ إنَّ المعارضة و التناقض في اصطلاح اهل الأصول هو كون الدليلين بحيث أحدهما يقتضي إيجاب أمر و ثبوته و الثاني يقتضي سلب أمر و انتفاءه، لكن لا بدَّ من شرط التوافق في ما بينهما في القوة و الزمان أو زيادة أحدهما على الآخر بوصفٍ هو تابع. و قيل: إذا كان التخالف و التقابل في ما بين الحجتين اللتين لا يمكن توافقهما و جمعهما في وقتٍ و زمانٍ عند الاستواء فيقال المعارضة بين الحجتين و الدليلين. والتعارض لا يقع بين القطعيين لامتناع وقوع المتنافيين، ولا يتصور الترجيح لأنَّه فرع التفاوت في احتمال النقيض، فلا يكون إلا بين ظنيين.⁷

ثانياً: تعريف الترجيح

إنَّ كلمة الترجيح أصلها "رجح" قال ابن فارس تدل هذه المادة على معنى الرزانة و الزيادة كما يقال رجح فلان إذا رزن⁸ ورجح في مجلسه إذا ثقل ولم يخف⁹ فالمعنى العام الذي تدول حول كلمة (رجح) هو جعل الشيء راجحاً، أي زائداً فاضلاً.

وعند أهل الأصول: "تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى"¹⁰ و إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر.¹¹ وبيان القوَّة لأحد المتعارضين على الآخر¹² و اقتران الأمانة بما يقوى به على معارضتها.¹³

و عند المفسرين: كلمة الترجيح تدل على قوة رأي المفسر في تفسير الآية الكريمة على رأي الآخر فيها أو إتيان رأيه الذي يدل على ضعف قوله على ما سواه.

فالترجيح يأتي في الآية التي اختلف المفسرون في تفسيرها ، كأن يكون في تفسير الآية احتمال الأقوال المختلفة ولكن بعضها أولى من بعض لدليل يدل عليه ، أو يكون فيها تعارض يتعذر حمل الآية على الأقوال كلها أو يقوم دليل على ضعف ورد بعض الأقوال.

منهج الشيخ أمير علي رحمه الله في التعبير عن ترجيحاته

لقد اختار الشيخ أمير علي رحمه الله في ذكر ترجيحاته المنهج التحليلي، أي أولاً يذكر معنى الآية، ثم يذكر إعراب الكلمات أو سبب نزولها أو القراءات وغيرها، ثم يأتي بأقوال العلماء والمفسرين ويذكر اختلاف العلماء والمفسرين في تفسير الآية مع ذكر الأدلة إن وجدت، ثم يأتي بترجيح مع ذكر الأدلة للترجيح. واعتمد الشيخ أمير علي رحمه الله على قواعد ترجيحية في ذكر ترجيحاته، ولم ينص عليها في كثير من الأحيان بل أشار إليها ببعض الكلمات الترجيحية. وقد تنوعت صيغ وأساليب وطرائق المفسر رحمه الله في التعبير عن ترجيحاته وبيان ما يميل إليها من الأقوال، وقد جاءت تعبيراته عن ترجيحاته تارة صريحة وتارة محتملة، فقد تبعته واستقرتها في تفسيره وأوردتها، ويمكن حصرها فيما يلي:

أولاً: الترجيح بالتنصيص على القول الراجح بصيغ الترجيح

منها: ترجيح الشيخ أمير علي رحمه الله بالتصريح بتصحيح أو ترجيح أحد الأقوال، وصيغ التي استخدمها هي: الصحيح، الراجح، الأصح، الأرجح

ومنها: ترجيحه بالتنصيص على تحسين قول وتفضيله على غيره، وصيغها هي: هذا جيد، والأظهر، والظاهر، والأولى

ومنها: ترجيحه بالتصريح باختيار أحد الأقوال، وصيغها هي: وهذا هو المعنى المناسب، وهذا هو المختار.

ومنها: ترجيحه لأحد الأقوال بتصدير القول الراجح بعبارة تتضمن وصفه بما يدل على رجحانه، وصيغها هي: والحاصل، والتحقيق، وعند المحققين، وهو الظاهر من تفسير الآية.

ثانياً: التفسير بالقول مع النص على ضعف غيره

منها ما يكون صريحاً في النص على التضعيف والبطلان، وصيغها: هذا ضعيف، وهذا باطل، وهذا غريب.

ومنها ما لم يكن صريحا في الضعف ولكن يذكر وصفا أو يصف قائلها بما يدل على ضعفه، وصيغها هي: وقد زعم بعض الناس، ولم أجد قول مستند فيه.

ثالثا: التفسير بالقول الراجح مع الاستدلال له أو توجيه الأقوال الأخرى في ضوءه

وهي: ترجيح قول بالتفسير به مع الاستدلال له، أو ترجيح قول بالتفسير به مع توجيه الأقوال الأخرى في ضوءه.

وجوه الترجيح عند الشيخ أمير علي في تفسيره "مواهب الرحمن"

وجوه الترجيح هي قواعد الترجيح وأدلة الترجيح التي استعملها المفسر رحمه الله للترجيح بين الأقوال المختلفة. ولما اشتدت عناية المفسر رحمه الله ببيان ترجيحاته، عقبها في كثير من المواضع بوجه من وجوه الترجيح من أدلة الترجيح وقواعده. وقد اعتمد الشيخ أمير علي رحمه الله في ترجيحاته على ثمانية وجوه، يمكن دراستها من خلال مباحث الآتية:

أولا: الترجيح بالنظير القرآني

وهو الترجيح بدلالة آية أو آيات قرآنية، وهو ما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن. وقد عده العلماء مثل هذا التفسير أصح أسلوب التفسير و أصوب، وهو ما أجمل في مكان فقد فسره في مكان آخر، وما اختصره في موضع فقد بسطه في موضع آخر، لأن الله تعالى هو أعلم بمراده من كلامه، ولا أحد أعلم منه بمعنى كلامه. وقد قرر عند العلماء "أن القول المؤيد بآيات قرآنية مقدم على القول الذي ليس كذلك"¹⁴ وقد اهتم المفسر رحمه الله بهذا الوجه واستدل بالآيات القرآنية في ترجيحاته في تفسيره في كثير من المواضع:

المثال الأول:

عند ما أمر الله تعالى إلى الملائكة و إبليس ليسجدوا آدم ففعلوا ما أمرهم إلا إبليس، كما في الآية¹⁵ في مسألة هل كان إبليس من جنس الملائكة أم لا، رجح المفسر أن إبليس لم يكن من جنس الملائكة بل كان من الجن وإنما أمر بالسجود مع الملائكة لأنه كان منهم صورتا لتشبهه مع الملائكة في عبادته وأفعاله ، ورجح قوله مستدلا بالآيات القرآنية قائلا:

"والأولى عندي أن لا يتكلف تأويلا ضعيفا غير صحيح في الآيات والأحاديث الصحيحة لأن مقولة إبليس منصوصة في القرآن الكريم: {خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ}¹⁶ ، وفي العقائد القطعية الثابتة من قوله تعالى: { لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون}¹⁷ ، ومن الآيات الكثيرة الأخرى أن الملائكة خلقوا

من النور مجردا عن وساوس الشياطين و شهوات الجسم ، لا يرتكبون خطأ ولا يعصون أمرا ، فلا يمكن أن يكون إبليس من الملائكة ويعصي أمرا يجعل لإجله ملعونا إلى الأبد.

المثال الثاني

في قوله تعالى:

وَأَنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ... من حَشِيَّةِ اللَّهِ¹⁸

في مسألة أن خشية الله و أمثالها من الصفات في الأحجار على الحقيقة أم على المجاز؟ فرجح فيها أن خشية الله في الأحجار على الحقيقة قائلا:

"وروى ابن أبي حاتم إنَّ المراد من انفجار الاحجار هو كثرة بكاءها، و أما خروج الماء منها تدل على قلة البكاء، و أما الهبوط من سطح الأعلى إلى الأسفل و من الصعود إلى النزول فهو بكاء القلوب من غير دُمُوعِ الْعَيْنِ¹⁹. فيعلم من هذه الآية أن هذا في الأحجار على الحقيقة."

ثم استدلل المفسر بالآيات القرآنية فقال:

"ويدل عليه الآيات القرآنية والنصوص القطعية: قال الله تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها)²⁰ والثاني قوله تعالى عز وجل: (تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن)²¹ والثالث قوله تعالى عز وجل: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)²² والرابع قوله تعالى عز وجل: (والنجم والشجر يسجدان)²³ وغيرها آيات كثيرة دالة على هذا المعنى."²⁴

ثانيا: الترجيح بالسنة النبوية

قال الله تعالى عز وجل:

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ²⁵ فرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم هو المبين للقرآن بإذن الله تعالى وشارحه، وبيانه وحي معصوم لا يساويه بيان غيره من البشر، كما قال تعالى عز وجل: وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ²⁶ فالسنة تفسر مجمل القرآن، وتخصص عامه، وتفيد مطلقه، ويبين ناسخه ومنسوخه. وقد قرر عند العلماء أنه "إذا صحَّ الحديث، في تفسير الآية وكان نصا فيه فلا يصر إلى غيره"²⁷ وقرّر عندهم أنه "إذا صحَّ الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو يرجح ذلك القول على ما خالفه"²⁸ فالمفسر رحمه الله تعالى اعتمد اعتمادا بالغا بالسنة النبوية واستدل به في ترجيحاته في تفسير آيات القرآن. ومنها:

المثال الأول

في مسألة البسمة في بداية سورة الفاتحة وغيرها من السور هل هي جزء منها أم لا، رجح المفسر

أن البسمة في بداية سورة الفاتحة وغيرها من السور ليست آية منها، واستدل له بالحديث النبوي قائلا:

"كان الصحابة يفتتحون كتاب الله بيسم الله الرحمن الرحيم ، ولا خلاف بين العلماء في أن البسملة جزء من القرآن في آية من سورة النمل، قال تعالى عزوجل: { إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }²⁹ ولكن اختلفوا في هل هي آية تامة في بداية كل سورة أو جزء آية؟ وهل هي آية من سورة الفاتحة وغيرها من السور أم ليست منها بل جاءت للفصل بين السور؟ وصح في سنن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: "كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم"³⁰.

ثم بعد ما ذكر أدلة الأقوال الأخرى قال:

"والحاصل أن البسملة آية مستقلة ، نزلت مع كل سورة تفصل بينها وبين غيرها من السور. ولا فرق فيه بين الفاتحة وغيرها من السور."³¹

المثال الثاني:

في قوله تعالى:

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ³²

رجح المفسر أن البهوط من خشية الله في الأحجار في هذه الآية على الحقيقة، واستدل له بالأحاديث النبوي

قائلا:

"وروى ابن أبي حاتم عن يحيى بن يعقوب أن المراد من هبوط الحجارة في الآية بكاء القلب من غير دموع العين"³³. فيعلم من هذه الآية أن هذا في الأحجار على الحقيقة.

ثم استدلل المفسر بالأحاديث التالية:

"وجاء في الحديث عن جبل أحد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: طلع له أحد، فقَالَ: "هذا جبل يجبتنا ونجبه"³⁴.

وجاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

"إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث ، وإني لأعرفه الآن"³⁵.

وروي عن علي رضي الله عزوجل عنه، قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة فمررنا في نواحيها خارجا من مكة بين الجبال والشجر فلم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال: "السلام عليك يا رسول الله"³⁶.

وصح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم قال للصخرة في الحراء عندما كان عليها هو وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، وتحرّكت: "اهدأ، أي اسكن، فما عليك إلا نبي أو صديق

أو شهيد"^{37 38}.

ثالثا: الترجيح بظاهر القرآن

الأصل في نصوص الوحي أن تحمل على ظاهرها وتفسرها بحسب ما يقتضيه ظاهر اللفظ ولا يعدل عنه إلا بدليل واضح يجب المصير إليه، كما قال المفسر رحمه الله في تفسيره: "لا يجوز تغيير النص خلاف الظاهر"³⁹ ولما قرر عند العلماء: "لا يجوز الصرف عن ظاهر ألفاظ الآية إلا بدليل يجب الرجوع إليه"⁴⁰ وكما قرروا أن كل تفسير لا تدل عليه ظاهر ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على صاحبه.⁴¹ والترجيح بظاهر الآية من وجوه الترجيح المعتمدة عند العلماء، وقد استعمل المفسر هذا الوجه من وجوه الترجيح في ترجيحاته، ومن أمثلتها:

المثال الأول:

في قول الله تعالى عزوجل:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ⁴²

رجح الشيخ أن سجود الملائكة كان لآدم عليه السلام بعينه ورد قول من قال أن آدم كان بمنزلة القبلة لأنه خلاف الظاهر قائلًا:

"وقيل أن اسجدوا لآدم بمعنى اسجدوا إلى آدم وكان آدم بمنزلة القبلة والسجدة كانت لله تعالى في الأصل. وأولوا هذه الآية لأن السجدة لغير الله تعالى كفر. ولكن هذا التأويل ضعيف لأن السجود لغير الله تعالى في شريعة الإسلام له حكمين، الأول سجود عبادة وهو كفر والثاني سجود تعظيم وتحية وهو حرام ولكن كان هذا السجود جائزًا في الأمم السافلة، ولهذا أمرنا أن يسجدوا لآدم ولا خلاف في أنها ليست سجود عبادة فلا حاجة إلى تأويل بعيد لأنه لا يجوز تغيير نص خلاف الظاهر."⁴³

المثال الثاني

وفي قول الله تعالى عزوجل:

وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ⁴⁴

اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية، ورجح المفسر فيها أن الآية نزلت في الأخنس بن شريق لأنه الموافق بظاهر الآية، وحكمها عام في حق كل من كان على الصفة التي ذكرت في الآية، فقال بعد ذكر الأقوال والمرويات في المراد بالآية:

"قال المترجم: ظهر من هنا أن المرويات متفقة، وقد صحّ السدي على الأخنس ابن شريق في سبب نزول هذه الآية، واختاره المفسر السيوطي، وهو الموافق بظاهر الآية."⁴⁵

رابعاً: الترجيح بدلالة سبب النزول

لمعرفة سبب النزول أهمية كبرى في فهم معاني آيات القرآن، وأحياناً يتوقف فهم بعض معاني آيات القرآن على سبب النزول. وهذا الوجه هو المعتمد عند العلماء في الترجيح، وقد قرروا أن القول المؤيد بسبب النزول مقدم على ما ليس كذلك.⁴⁶

ويؤيده ما قال ابن تيمية شيخ الإسلام: أن سبب النزول يعين على فهم الآية، لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.⁴⁷ ولذا اعتمد المفسر على هذا الوجه من وجوه الترجيح في ترجيحاته، واهتم به، ومنها:

المثال الأول:

في قول الله تعالى:

وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى⁴⁸

في المراد من {مقام إبراهيم} رجح المفسر أن المراد به حجر عليه أثر قدم إبراهيم عليه السلام استدلالاً بما روي في سبب نزولها قائلًا: "نقل تفسيرين في المراد من مقام إبراهيم. فرواية ابن عباس التي روى عنه مجاهد أن المراد بمقام إبراهيم في الآية الحرم كله."⁴⁹ والقول الثاني: مقام إبراهيم حجر عليه أثر قدم إبراهيم عليه السلام. ثم استدلل للقول الثاني بأسباب النزول قائلًا:

"روي عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه في حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما طاف بالبيت قال له عمر رضي الله تعالى عنه: "هذا مقام أئبنا إبراهيم؟ قال نعم، قال: أفلا نتخذة مصلى؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية⁵⁰. وهذا المفهوم ثبت من أحاديث الصحيحين من قول عمر رضي الله تعالى عنه، قال: "وافقت ربي عز وجل في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى}.⁵¹"

المثال الثاني

في قول الله تعالى:

وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ

ذكر المفسر أقوالاً في من المراد بهذه الآية، ورجح فيها أن المراد بالآية هو أحنس بن شريق لأن في سبب النزول تصريح على اسمه، وحكمها عام في حق كل من كان على الصفة التي ذكرت في الآية، فقال:

"نقل المفسر ابن كثير، وغيره من المفسرين قول السدي في الآية أنها نزلت في الأحنس بن شريق، لما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعلن الإسلام وكان في باطنه خلاف ذلك. وذكر أنه كان يأتي إلى رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكلمه كلاماً حلواً، وكان يظهر أمامه حبّه، وكان يحلف بالله على ذلك.⁵²

ثم بعد ذكر الأقوال قال:

"قال المترجم: ظهر من هنا أن الرويات متفقة ، وقد صرح السدي على الأحنس ابن شريق في سبب نزول

هذه الآية ، واختاره المفسر السيوطي، وهو الموافق بظاهر الآية."⁵³

خامساً: الترجيح بالسياق

سياق الكلام - وهو ما قبله وما بعده - من أقوى الطرق لفهم كلام الله تعالى، لأنه من أعظم ما يعين على فهم المعنى عند استغلاقه. فقد قرر العلماء أن "الأولى بالآية أن تدخل في معنى ما قبلها وما بعدها إذا كانت في سياق واحد"⁵⁴، وقرّر عندهم أنه: "القول المؤيد بقرائن في السياق مرجح على ما ليس كذلك"⁵⁵. لأنه يرشد إلى تبين الجمل ، وتعيين المحتمل ، وتقييد المطلق ، وتخصيص العام وغيرها من الدلالة. وقد اهتم المفسر رحمه الله بالترجيح بالسياق في تفسيره:

مثاله:

في قول الله تعالى:

أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ⁵⁶ رجع المفسر أن المراد بقوله تعالياً أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ شهر رمضان

واستدل بالسياق قائلاً: "أراد المفسر السيوطي من قوله تعالى: أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ مَقْتَاتٍ بعدد معلوم وهي

رمضان⁵⁷ ، وهذا أظهر من السياق واللفظ أن صوم رمضان كُتِبَ أولاً"⁵⁸

سادساً: الترجيح بالعموم

لقد تقرر عند علماء التفسير: يجب أن يحمل نصوص القرآن على العموم ما لم يأتي نص بالتخصيص.⁵⁹ وتقرر عندهم أن الحكم في النص لعموم اللفظ لا لخصوص السبب.⁶⁰

قال الشنقيطي:

"تقرر عند العلماء أن الآية إذا كانت لها معاني مختلفة وهي تحتمل معاني كلها صحيح يحمل الآية على جميع

المعاني."⁶¹

وقد اعتمد الفسر رحمه الله على هذا الوجه في الترجيح، منها:

المثال الأول:

في قول تعالى عزوجل:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ⁶² بعد ذكر الأقوال في المراد بقوله تعالى (إن الذين كفروا) رجح المفسر أنها عام شامل لكل من كان في علم الله أنه جهنمي وهو كل من ترك سبيل الرشد باختياره واختار سبيل الشيطان ومات عليه ، فقال:

"قال المترجم: وعند الشيخ السيوطي نزلت هذه الآية في شأن قريش ، ويهود ، وكل كافر سبق في علم الله عزوجل أنه جهنمي . وفي هذا المقام رواية عن عبد الله بن عمرو قَالَ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ} إلى قول الله عزوجل {عَظِيمٌ} هَؤُلَاءِ أَهْلُ النَّارِ قُلْنَا لَسْنَا هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: أَجَلٌ⁶³ . والحاصل أن الله تعالى منع المؤمنين من صفات الذين خلقوا لجهنم في علم الله القديم ، قال الله تعالى:

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَاغِفُونَ⁶⁴ ومعناه أن الله تعالى أعطاهم فطرة سليمة ، ثم أراهم آيات قدرته في خلقته وفي ما حوله ، ثم أراهم سبيل الرشد بكتابه ورسوله ، وأراه الشيطان والنفس سبيلهما ، سبيل الشهوات والدنيا ، فأعرض عن سبيل الرشد والهداية واختار سبيل النفس والشيطان ، وشكك في دين الله ، فقطع الله منه رحمته وترك نصرته ، وأخرجه من سلسلة رحمة الأنبياء ، وسلط عليه الشيطان ، وغضب عليه ولعنه ، فأعطاه الله ما اختاره في حقه.⁶⁵

المثال الثاني:

في قول الله تعالى:

وَإِذَا خَلَقُوا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ⁶⁶

بعد ذكر الأقوال المختلفة في من يراد بشياطينهم، رجح القول العام الشامل لجميع الأقوال، فقال:

"أراد المفسر ابن جرير من شياطين في كل شيء، مردته⁶⁷ . والشياطين يوجد في كلا المخلوقين، الأنس والجن، كما قال الله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ}⁶⁸"

قال المترجم:

من اختار الدنيا وسبيل الشيطان وجزم عليه فمن لوازمه أن يُحْتَم على قلبه ، فلا يظهر منه نور العقل ، فعندئذ يصير شيطاناً ويضل الناس ، ويؤثر كلامه الضالة في قلوب الذين هم أهل الشقاوة الذين لا يقبلون الحق . فالحاصل أن المنافقون عندما يذهبون من عند المؤمنين وينفردون بالشياطين الموصوفين بالصفات المذكورة ، وهؤلاء الشياطين يضلونهم حسب جبلتهم وخصلتهم فهؤلاء المنافقون يقبلون كلامهم الضالة ويقولونهم إنا معكم ، وعندما يلومونهم شياطينهم بأنكم وعدتم المؤمنين بالإيمان يقولون إنما نحن مستهزون⁶⁹ .

سابعاً: الترجيح بحمل الكلام على الحقيقة

من القواعد المقررة لدى علماء التفسير:

"أن الأصل في نصوص الوحي وألفاظه أن تحمل على الحقيقة ولا يصار إلى المجاز إلا لحجة ظاهرة"⁷⁰.

وقد استخدم المفسر هذا الوجه في الترجيح في كثير من المواضع في تفسيره، ومنها:

المثال الأول:

في قول الله تعالى:

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ⁷¹

ذكر المفسر قولين في مسألة هل كان مسخ اليهود قردة على الحقيقة، أم كان معنوياً؟ ورجح أن مسخ اليهود الذين اعتدوا في السبت واصطادوا السمك من صورة الإنسان إلى صورة القردة كان على الحقيقة، ورد القول الثاني قائلاً أن هذا القول مروى من مجاهد وقد وهم الراوي فيه فقال:

"واعلم أن مسخهم إلى صورة القردة متفق عليه، ولكن روى ابن أبي حاتم وابن جرير الطبري عن مجاهد بسند جيد أن صورتهم لم تمسخ بل قلوبهم مسخت"⁷².

قال المترجم:

في الظاهر أراد مجاهد بيان أصل الضرر للمسخ وهو مسخ قلوبهم إلى قلوب القردة لأن مسخ قلوبهم قردة هو أكثر خطراً من مسخ صورتهم، فوهم الراوي أن مراد مجاهد هو أنهم لم يمسخوا صورة، وقد قال تعالى عزوجل: (وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ)⁷³

ثم ذكر المرويات التي تؤيد أن مسخهم كان على الحقيقة ورجحه قائلاً:

"وروى مجاهد عن ابن عباس أن المعتدون في يوم السبت مسخوا قردة ثم هلكوا، وما كان لهم نسلاً"⁷⁴ ورواية الضحاك عن ابن عباس أن الذين مسخوا قردة بمعصيتهم هلكوا بعد ثلاثة أيام، ولم يعيشوا فوق ثلاثة أيام ولم ينسلوا، وأما القردة والخنازير فقد خلقهم الله تعالى في الأيام الستة التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم"⁷⁵. فهذه المرويات صريحة في أنهم مسخوا ظاهراً وباطناً، وهذا هو الصحيح"⁷⁶.

المثال الثاني:

وفي قوله تعالى:

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ⁷⁷

ذكر المفسر قولين في مسألة هل البهوط من خشية الله في الأحجار على الحقيقة أم على المجاز، ورجح أن هذه الصفة على الحقيقة في الأحجار ورد قول القائلين بالمجاز قائلاً:

"وروى ابن أبي حاتم إنَّ المراد من انفجار الاحجار هو كثرة بكاءها، و أما خروج الماء منها تدل على قلة البكاء، و أما الهبوط من سطح الأعلى إلى الأسفل و من الصعود إلى النزول فهو بكاء القلوب من غير دُموع العَيْنِ⁷⁸ .

فيعلم من هذه الآية أن هذا في الأحجار على الحقيقة. وقد زعم بعض الناس أن نسبة خشية الله إلى الأحجار على المجاز. لأن الله تعالى أعطى لكل جنس من مخلوقاته فهم معرفته. ومذهب أهل السنة أن الله تعالى أعطى لكل من الحيوانات والنباتات والجمادات سوى العقلاء علما خاصا ، يعرفون به هؤلاء الخلائق خالقهم ويسبحونه ولا يقف عليه غيره ، ويدل عليه الآيات القرآنية والنصوص القطعية.⁷⁹

ثامنا: الترجيح باللغة

أنزل الله تعالى القرآن بلغة العرب وأساليبيهم، فلأجل هذا الرجوع إلى ذلك اللسان هو أساس لفهم معاني آيات القرآن. فإذا كان كلام العرب من اللغة يدل على صحة القول فيجب حمل الآية عليه. وقد قرّر عند العلماء:

"يجب أن يحمل كلام الله تعالى عزوجل على ما هو معروف في الكلام العرب لا على المعنى الشاذ أو الضعيف أو المنكر"⁸⁰ . واعتمد المفسر رحمه في مواضع كثير بهذا الوجه من وجوه الترجيح،

مثاله:

في قول الله عزوجل

﴿سَبَّحُوا لِلَّهِ مِمَّا ارْتَفَعَتْ فِي السَّمَاءِ﴾⁸¹

ذكر الشيخ قولين في معنى {سَبَّحُوا} ثم رجح أنه معناه قصد وتوجه وأراد واستدل له باللغة قائلا:

"تكلم العلماء في معنى الاستواء لأن الاستواء يأتي لعدة معان في كلام العرب ، الأولى: أنه بمعنى قصد وتوجه وأراد وعندئذ يتعدى إلى وفي هذه الآية عدي يلى فيكون المعنى أن الله تعالى بعد ما خلق الأرض اجمالا قصد إلى خلق السماء.⁸² وروي عن ابن عباس أن الاستواء بمعنى الارتفاع والعلو.⁸³"

ثم رد القول الثاني مع الاستدلال باللغة للقول الأول قائلا:

"ولكن عندما يأتي الاستواء بمعنى ارتفع فلا يتعدى بحرف إلى بل يتعدى بحرف على كما جاء في قوله تعالى: (لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ)⁸⁴ . فلما عدي استوى هنا بحرف إلى فيكون المعنى المناسب له قصد وعمد وهذا المعنى اختاره ابن كثير.⁸⁵"

الخاتمة

إن مؤلف تفسير مواهب الرحمن من العلماء الكبار وصاحب المنزلة الرفيعة في شبه القارة الهندية وإن هذا التفسير قد ظفر بالقبول الواسع من قبل المعاصرين وهو أول تفسير جامع في اللغة الأردنية ، فقد جمع فيه مؤلفه التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي ، ونقل فيه المذاهب الفقهية والأقوال التفسيرية والقراءات والقصص والعلوم والفنون والمسائل العقديّة وغير ذلك. والميزة التي يتميز بها تفسير مواهب الرحمن للشيخ أمير علي أن مؤلفه رجع في تفسيره على أساس قواعد وأصول متفكّة ومحكمة واهتم بالتفسير بالمأثور في ترجيحاته، واستدل بالآيات وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأقوال الصحابة والتابعين. وقد سلك في تفسيره مسلك التحقيق ، فقد ذكر في تفسيره القصص والمرويات التاريخية ولكن حقّقها لما اقتضى المقام. وقد سلك الشيخ أمير علي مسلك السلف في الترجيح ، وهو يوافق قول الجمهور على غيره. وتبين لي من دراستي لترجيحاته أنه يرحّح القول الذي يؤيده السياق أو ظاهر الآية على غيره. واهتم الشيخ بأسباب النزول ، ويرجح حمل الآية على العموم ، والعبارة عنده بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. واهتم بذكر الناسخ والمنسوخ ، وذهب إلى عدم النسخ متى أمكن الجمع أو التخصيص. وفي المشابهات هو يرحّح مذهب التفويض. ولمست في ترجيحاته في المسائل الفقهية أن الشيخ أمير علي غير متعصب لمذهبه ، فقد رجع في كثير من المسائل قول الجمهور على مذهب الأحناف. وكل هذا يجعل ترجيحات الشيخ أمير علي في تفسيره مقبولة عند أهل العلم وطلاب القرآن الكريم. وأدعوا الله تعالى أن ينفع به الباحثين الآخرين.

الحواشي والهوامش

- 1 سورة الحجر 15: 9.
- 2 الحسيني، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (لبنان: دار ابن حزم - بيروت، 1420 هـ) 8: 1196. ---مولانا سيد أمير علي المليح آبادي اللكهنوي، مقدمة تفسير مواهب الرحمن (لاهور: ديني كتب خانة، السوق اردو، 1977م) ص: 1، ب، ج
- 3 مقدمة تفسير مواهب الرحمن: 97.
- 4 أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة (لبنان: دار الفكر 1399هـ)
- 5 شمس الدين، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلبي، المطلع على ألفاظ المقنع (بيروت: مكتبة السوادى للتوزيع) 1: 495

- 6 الحميري، نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم(لبنان: دار الفكر المعاصر بيروت، 1992م) 7: 4508
- 7 التهانوي ، محمد بن علي ابن القاضي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم(لبنان: مكتبة ناشرون - بيروت 1996م) 1: 473
- 8 معجم مقاييس اللغة 1: 512.
- 9 جمال الدين، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب(بيروت: الرويفعي الإفريقي ، دار صادر ، 1433هـ) 2: 455
- 10 السيوطي، جلال الدين، معجم مقاليد العلوم(مصر: مكتبة الآداب ، القاهرة، 2000م) 1: 69
- 11 الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات(لبنان: دار الكتب العلمية بيروت ، 1980م) 1: 56
- 12 أبو البقاء ، أيوب بن موسى، الكليات(بيروت: مؤسسة الرسالة، 1422هـ) 1: 315
- 13 موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم 1: 416.
- 14 حسين بن علي بن حسين الحرابي، قواعد الترجيح(الرياض: دار القاسم، 1996م) 1: 312
- 15 سورة البقرة 2: 34.
- 16 سورة الأعراف 7: 12
- 17 سورة التحريم 66: 6.
- 18 سورة البقرة 2: 74.
- 19 أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، تفسير ابن أبي حاتم(السعودي عرب: مكتبة نزار بالسعودية، 1423هـ) 1: 146
- 20 سورة الأحزاب 33: 72.
- 21 سورة الأحزاب 33: 44.
- 22 سورة الأحزاب 33: 44.
- 23 سورة الرحمن 55: 6
- 24 تفسير مواهب الرحمن 1: 248 - 249.
- 25 سورة النحل 16: 44.
- 26 سورة النجم 53: 3 - 4.
- 27 الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار، تفسير الشنقيطي، مقدمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(لبنان: دار الفكر للطباعة بيروت ، 1415 هـ) 3: 147
- 28 مقدمة أضواء البيان للشنقيطي ص: 23
- 29 سورة النمل 27: 30

- 30 أبو داود ، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود(بيروت: المكتبة العصرية، صيدا(س-ن) حديث (788)
- 31 تفسير مواهب الرحمن: 1: 13 – 14.
- 32 سورة البقرة: 2: 74.
- 33 تفسير القرآن: 1: 146.
- 34 أبو الحسن، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتابه المسند الصحيح(بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1422هـ) في كتاب الحج باب أحد جبل يحبنا ونحبه، حديث(1392)
- 35 أبو عيسى الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الكبير(بيروت: دار الغرب الإسلامي) حديث(3624)
- 36 سنن الترمذي ، حديث(3626)
- 37 صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما، حديث(2417)
- 38 تفسير مواهب الرحمن: 1: 248 – 249.
- 39 المصدر نفسه: 1: 137.
- 40 قواعد الترجيح: 1: 137.
- 41 المصدر نفسه.
- 42 سورة البقرة: 2: 34.
- 43 تفسير مواهب الرحمن: 1: 136 – 137.
- 44 سورة البقرة: 2: 204.
- 45 تفسير مواهب الرحمن: 2: 226.
- 46 قواعد الترجيح عند المفسرين: 1: 341.
- 47 ابن تيمية، الفتاوي(بيروت: دار الكتب العلمية سنة 1987م) 13: 239
- 48 سورة البقرة: 2: 125.
- 49 تفسير ابن أبي حاتم: 1: 226.
- 50 المصدر نفسه
- 51 صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في القبلة ، حديث(402)
- 52 البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن(بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1990م) 1: 162 --- حافظ ابن كثير، تفسير ابن كثير(لبنان: دار طيبة للنشر والتوزيع) 1: 562
- 53 تفسير مواهب الرحمن: 2: 226.
- 54 قواعد الترجيح: 1: 125.
- 55 مقدمة أضواء البيان للشنقيطي: 1: 12

56	سورة البقرة:2: 184.
57	جلال الدين المحلي / جلال الدين السيوطي ، تفسير الجلالين (دار الحديث - القاهرة) 1: 38
58	تفسير مواهب الرحمن 2: 143.
59	خالد بن عثمان السبت، مختصر في قواعد التفسير (قاهره:2005م) 1: 22
60	مختصر في قواعد التفسير 1: 22.
61	تفسير الشنقيطي 3: 124.
62	سورة البقرة:2: 6
63	تفسير القرآن 1: 40، 91.
64	سورة الأعراف 8: 179.
65	مواهب الرحمن 1: 68 – 69.
66	سورة البقرة:2: 14.
67	الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م) 1: 296
68	سورة الأنعام 7: 112.
69	تفسير مواهب الرحمن 1: 85 – 86.
70	أبو حيان ، أنير الدين، البحر المحيط (بيروت: دار الفكر، 1420 هـ) 3: 450
71	سورة البقرة:2: 65.
72	جامع البيان 2: 172.
73	سورة المائدة:5: 60.
74	تفسير القرآن العظيم 1: 132.
75	جامع البيان 2: 168.
76	تفسير مواهب الرحمن 1: 229، 231.
77	سورة البقرة:2: 74.
78	تفسير القرآن لابن أبي حاتم 1: 146.
79	تفسير مواهب الرحمن 1: 247 – 248.
80	قواعد الترجيح 2: 369.
81	سورة البقرة:2: 29.
82	تفسير القرآن العظيم 1: 213
83	تفسير البغوي 1: 101.

84 سورة الزخرف 43: 13.

85 تفسير ابن كثير 1: 213.